المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
البلاغة والنقد

الموازنة بين صور المعاني في ضوء نظرية النظم وأثرها في دراسة الإعجاز

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد

إعداد الطالب:

سعود بن حامد مرزوق الصاعدي

الرقم الجامعي (٤٢٩٧٠١٣٤)

إشراف:

أ.د/ محمد بن إبراهيم شادي

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الدراسة : الموازنة بين صور المعاني في ضوء نظرية النظم وأثرها في دراسة الإعجاز.

وتهدف الدراسة إلى التعرّف على الإعجاز بطريقة علميّة منهجيّة، كما تهدف إلى وضع منهج للموازنة من خلال فكرة صورة المعنى التي أسسها عبد القاهر الجرجاني، وتطبيق هذا المنهج على الشعر، ومنه إلى نظم القرآن وبيان تميّزه.

جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، وقد عالجت في التمهيد مفهوم المعنى وصورة المعنى، ومفهوم الموازنة و أثرها في قضايا النقد.

في حين جاء الفصل الأوّل في مبحثين، تناول المبحث الأوّل صورة المعنى عند نقاد الشعر و تتبّع تطوّر هذا المفهوم ثم الموازنة وفقًا لهذا المفهوم، وتناول المبحث الثاني الموازنة بين صور المعنى عند دارسي الإعجاز من الجانب التطبيقي، وبيان كيف التقى المسار النقدي والمسار الإعجازي.

و جاء الفصل الثاني في مبحثين، تناول المبحث الأوّل صورة المعنى عند عبد القاهر وكيف ارتبطت بالأعمال الصناعية واكتملت حتى شكلت منهجًا بنى عليه عبد القاهر منهجه في الموازنة بين صور المعاني وهو ما تناولته الدراسة في المبحث الثاني من هذا الفصل.

أمّا الفصل الثالث فتناول الجزء التطبيقي من الدراسة، ووازن فيه الباحث الأبيات المفردة بقسميها : المعنى المصوّر والمعنى الغفل، و القسم الآخر وازن فيه بين الأبيات المصوّرة وهو المبحث الأول، و تناول في المبحث الثاني الموازنة التطبيقية بين نظم القرآن ونظم الشعر للوقوف على أسرار التصوير القرآني للمعاني.

واختُتِمت الدراسة بأهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث، وكان من أهمها : الوصول إلى نظرية متكاملة هي نظرية صورة المعنى التي أولاها عبد القاهر عنايته في الموازنة، ومنها أيضًا تصنيف الصناعة إلى قسمين : صنعة في المعنى وصنعة في إثباته، إلى غير ذلك من النتائج التي كشفت عنها الدراسة وقام الباحث بتدوينها في الخاتمة.

إعداد الطالب:	إشراف:
سعود بن حامد مرزوق الصاعدي	أ.د/ محمد بن إبراهيم شادي

Thesis abstract

Thesis title : assonance between the images of the meanings in light of the theory of prose or poetry writings and their influence on the study of eloquence .

The study aims at identifying eloquence in a systematic scientific way . It also aims at setting an approach for assonance through the idea of the image of meaning originated by Abdulqahir Algergani and the application of this approach on poetry and in turn to the prose style of the Holy Quran beside illustrating its distinctive form.

The study includes a preface and three chapters . In the preface , I deal with the concept of meaning and that of assonance and its influence on the domains of criticism .

Chapter one is dealt with in two studies; the first study deals with the images of meaning in view of the critics of poetry and the development of this concept in view of the students of eloquence in terms of the application aspect . Thus , in this study , I show the meeting point of the criticism route with the eloquent one .

Chapter two is dealt with in two studies ; the first study deals with the images of meaning in view of Abdulqahir and how it is related to his critic works . This represents an approach on which Abdulqahir set up his own method in the assonance within the images of meaning .

Chapter three deals with the application part of this study where the researcher assonances the single verses in terms of the two parts: the imaged meaning and implicit meaning . In the second part , the researcher assonances between the imaged verses. In the second study , the researcher deals with the applied assonance between the Quranic verses and poetic verses in an attempt to identify the hidden secrets of the Quranic images to convoy meanings.

The study conclusion : includes **the main results** that the researcher concluded in his thesis as forth :

-Introducing an integrated theory of the image of meaning which Abdulqahir gave his attention in terms of assonance .

- Sorting the critic works into two parts : the work of criticism to the meaning and that of his evidences in addition to other results dealt with in this study elaborately taken down by the researcher in the conclusion part .

Prepared by student :
SAUD HAMID MARZOUQ AL-SAEDI

Supervised by :
Prof. Dr. MUHAMMED IBRAHEEM SHADI

المقدمـــة

المقدمــــة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده حمدًا لا ينفد، وأشكره شكرًا لا ينقطع، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، معلّم الإنسانيّة، وهادي البريّة، أرسله ربّه بخير بيان، وأنطقه بأصدق لسان، وجعل معجزته الكبرى حجّة تنطق بالكلام المعجز المبين، وهدايةً للناس أجمعين، صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد،،

فقد كان التفاضل في الكلام بين العرب هو ميدان سباقهم، وهو المضمار الذي يطلقون فيه أعنّة خيولهم، فيظهر من بينهم المعجز والمفحَم، وتتفاوت قدراتهم في الإبانة بحسب قدرتهم على التصرّف في الكلام، والتعبير عن المعنى الواحد الذي يجعلونه غرضًا يتبارون، فيما بينهم، على تصويره وصياغته؛ ليظهر منهم السابق والمصلّي، وليميز تصويرُ المعاني أربابَ البيان ممّن هم دونهم في هذا المضمار.

ولمّا كان الشعر هو باب بلاغتهم، وهو نموذجهم الأمثل في الكلام العالي، لما يختزنه من طاقة تصويريّة تستند إلى إحكام التراكيب، وجودة النسج، وبراعة التصوير، وحسن التحبير، وذلك بانتقاء ألفاظه وفقًا لمعانيه، وجعل المباني مناسبةً للمعاني، فقد اتخذت العرب من الشعر ميدانًا للتسابق، تجري عليه أحكامها، وتقيس به قدرة أرباب الكلام على تصوير المعاني تصويرًا يبلغ بها أقصى درجات البيان، ويُعلَمُ به مقدار ما بينهم من الفضل والتميّز.

وكانت الموازنة هي الباب الذي اتخذه العارفون بجوهر البيان للحكم بين الشعراء، فكان الشعراء أنفسهم يقصدون هؤلاء لإجراء الموازنة والحكم بينهم، ومن ذلك ما أُثِرَ عن شعراء تميم الأربعة وقصة احتكامهم عند ربيعة الأسدي[1]، وكذلك

---

(١) يُنظر: الموشح، لأبي عبيد الله المرزباني، تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة: ص٩٦- ٩٧.

ما كان بين امرئ القيس وعلقمة الفحل في حكومة أم جندب المشهورة(١)، وهكذا سار الشعراء على هذه السنة في مجاراتهم ومفاخراتهم الشعرية.

ولم يكن الغرض العام هدفًا للشعراء، وإنما كان منطلقًا لهم بحيث يصوغونه في عبارة محكمة ويصوّرونه في بيان شعريّ، وكان أقدرهم ملكةً من يهتدي إلى طريقةٍ في البيان تحيل المعنى المطروح الغُفْل إلى معنى خاصّ، قد اكتسب باللفظ شرفا، وبالصياغة معرضًا حسنا، فكان هذا عندهم هو جوهر الإبانة عن المعاني، وموطن التميّز في الصياغة الشعريّة، بحيث تستحيل المعاني العامة والمقاصد والأغراض إلى صور لفظيّة تمتزج بلغة المجاز، فتجعلها أدقّ تعبيرًا وأصدق شعورًا وأكثر تأثيرا، وقد فطن الجاحظ إلى ذلك في عبارة موجزة حين قال:" والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والقرويّ والبدويّ، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وصحّة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، وإنما الشعر **صياغةٌ وضربٌ من التصوير** "(٢).

وهذا يعني أنّ الطريق اللاحب لمعرفة الإعجاز البياني، هو الموازنة بين بيان وبيان، ومعرفة المبرِّز في تصوير المعاني من المُفْحَم، وبالخصوص الموازنة بين صور المعاني المشتركة، تلك التي تداولها الشعراء، أو الوقوف على الصور المختلفة للمعنى الواحد، وذلك لبيان جهة التميّز في الكلام، وهو الطريق ذاته الذي كانت العرب تسلكه لبيان فضل شاعرٍ على آخر.

وقد نزل القرآن ببيانه المعجز إبّان هذه الفترة الزمنية التي بلغ فيها العرب مبلغًا لا يُجارى في البيان، فتمّت سلائقهم ونضجت لغتهم حتى صارت صور معانيهم

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) يُنظر: بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق خلف الله أحمد وزغلول سلام، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة: ص٥٨ – ٥٩).

(٢) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م: ٢/ ١٧١.

ناطقةً عن حياتهم ومبينة عن خلجات نفوسهم وناقلةً للمخبوء المستكنّ في ضمائرهم، وما هذه المفاخرات الشعريّة والمبارزات البيانيّة إلا صورة لهذا السموّ البياني وهذه الأنفة التي تدلّ على أنهم بلغوا من اللغة مبلغًا عظيمًا فأصابوا بها كلّ ما أرادوا من الشوارد والأوابد وأبانوا بها عن كلّ سانحة وبارحة، حتى إذا أخذت لغتهم زخرفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها نزل القرآن بما قهر منهم القوى، وأعادهم مشدوهين يقول قائلهم: " إنّ لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنّه ليعلو ولا يُعلى، وإنّه ليَحْطِم ما تحته "(١)

۞ أهمّيّة الدراسة:

من هنا تجيء أهميّة هذه الدراسة، فالموازنة بين صور المعاني في ضوء نظرية النظم ذات قيمة تتصل بإعجاز القرآن من جهة، وذات صلة ببيان الشعر من جهة ثانية، وذلك بقصد معرفة أسرار البيان، وهذا يجعل الدراسة ذات شقّين، أحدهما يتصل بدراسة الإعجاز، والآخر يتصل بدراسة الشعر للوصول إلى منهج متكامل للموازنة، يفيد من دارسي الإعجاز كما أفاد دارسو الإعجاز، من قبل، من الموازنات النقدية التي دارت حول الشعر للبحث في أسراره.

وهذه الدراسة معنيَّةٌ بالوقوف على منهج للموازنة بين صور المعاني، ومعنيَّةٌ أيضًا بالوصول إلى غاية سامية هي الوقوف على أسرار التصوير القرآني وكيف تميّز القرآن عن الشعر في صياغة المعاني ونظمها وبنائها وذلك في ضوء فكرة صورة المعنى التي أسّس عليها عبد القاهر الجرجاني منهجه في الموازنة بين بيان وبيان.

---

(١) نُسِبَ هذا القول إلى الوليد بن المغيرة حينما سمع القرآن (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م: ١/ ٣٠٩).

وعلى هذا يمكن القول بأنّ أهمّ أهداف هذه الدراسة ما يلي:

١ – التعرُّف على الإعجاز بطريقة علميّة منهجيّة، وهذا الهدف مقدّمة للوصول إلى كيفية الموازنة بين نظم الشعر ونظم القرآن للوقوف على تميّز البيان القرآني.

٢ – تطبيق منهج الموازنة وفقًا لفكرة صورة المعنى التي تحوي داخلها نظرية النظم، وهو المنهج الذي سلكه عبد القاهر وسلكه من قبله دارسو الإعجاز، بغية الوصول إلى منهج متكامل للموازنة التطبيقية.

٣ – إجراء موازنة تطبيقية على الشعر من جهة، وعلى الشعر ونظم القرآن من جهة ثانية، وذلك للوقوف على أسرار تميّز القرآن ومخالفته لما هو مألوف عند العرب.

۞ الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تسير في مدار هذه الدراسة، ويمكن الإفادة منها، ما يلي:

١ – كتاب الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، للدكتور كمال عبد الباقي لاشين، وهو رسالة علمية، تناول فيه المؤلف الموازنة من زاوية تاريخية، ولم يعالج النصوص فنيًا إلا بمقدار يسير يمكّنه من استخراج مقاييس الموازنة فيما عرضه من صور للموازنات في النقد القديم.

إضافةً إلى ذلك فهو لم يتناول الموازنة من زاوية تطبيقية على نصوص شعرية لأنّ غايته، كما ذكر، هي " تجلية قضية الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، وذلك بعرض جوانبها عرضا أمينا كاشفا، وإبراز أسسها ومقاييسها، وبيان تطوّرها التاريخي، ومذاهب نقادها، على اختلاف طبقاتهم، ثم مناقشة ما اتصل بهذه القضية من آراء، وما قام حولها من أراجيف وشبهات "(١).

---

(١) الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، الدكتور كمال عبد الباقي لاشين، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: ص١٠.

٢ – إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميّز، للدكتور محمد إبراهيم شادي، وكان الهدف من هذا الكتاب، حسب ما ذكر المؤلف، " البحث عما يميز القرآن بالموازنة بين أسلوبه وأساليب العرب "، وقد تتبّع " بذور الموازنة عند العلماء قديما، وثمارها حديثًا، وكيفيّة الإفادة بهذه البذور والثمار – على قلتها – في تطبيق بعض الموازنات باعتبارها أفضل المناهج العلمية التي تقنع الآخر بفكرة الإعجاز، وأنّ القرآن ليس في طاقة البشر "(١).

وكان المؤلف يقصد من دراسته الموازنة بين القرآن وكلام البشر، سواء ما تعلق بالبيان النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، أو بالبيان الشعري، أو ببعض النصوص التي وردت في الكتاب المقدّس عند اليهود والنصارى، للوصول إلى الطابع الإلهيّ الذي يتميّز به القرآن، فكانت دراسته منطلقةً من فكرة الإعجاز، ولهذا عالجها من هذا الجانب وجعل تراث دارسي الإعجاز هو منطلق الدراسة.

أمّا دراستي هنا فتنطلق من المسار النقديّ، ومنه إلى المسار الإعجازي، للوصول إلى منهج متكامل في الموازنة الشعريّة، ومن ثم تطبيق هذا المنهج في الموازنة بين شعر وشعر، ثم بين نظم الشعر ونظم القرآن.

كما إنّ هذه الدراسة تنطلق من فكرة صورة المعنى عند عبد القاهر، وترصد هذه الفكرة منذ بدأت في التراث النقدي إلى أن نضجت عند عبد القاهر، إضافةً إلى ما يمكن الوصول إليه، فيما بعد، من تطوّر لهذه الفكرة وتسجيل ما أضيف إليها من مستويات التصوير.

و لهذا جعلت منهجي في الدراسة منهجًا وصفيا تحليليا، مع عدم إغفال المنهج التاريخي في تتبّع فكرة صورة المعنى عند النقاد حسب التسلسل التاريخي، وتتبّع الموازنة التطبيقية عند دارسي الإعجاز حسب هذا التسلسل أيضًا، ومن طبيعة الموازنة

---

(١) إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميّز، الدكتور محمد إبراهيم شادي، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان بالمنصورة، : مقدمة المؤلف صفحة أ.

أن تبدأ بالوصف الذي يكشف أسرار التعبير في النص، ومنه إلى الموازنة بينه وبين نصٍّ آخر، ثم التحليل والوقوف على سرّ الجودة والتفوّق.

و قد جاءت خطّة الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول، كل فصل احتوى على مبحثين، وكل مبحث تناول مطالب عدّة، وفيما يلي رصدٌ ووصف لحركة أفكار الدراسة حسب تناميها وإجرائها إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه.

جاء **التمهيد** في جزأين، تناولت في الجزء الأوّل مفهوم المعنى وصورة المعنى، والوقوف على المصطلحات المتعلّقة بهذه الصورة، كالنظم والترتيب، والتأليف والتركيب، والصياغة والتصوير، والنسج والتحبير.

و تناولت في الجزء الثاني الموازنة وأثرها في النقد، وبيان أهم القضايا النقديّة التي تولّدت عنها، كقضية اللفظ والمعنى، وقضية السرقات، وقضية القديم والجديد، وقضية الإعجاز.

و جاء **الفصل الأوّل** في مبحثين، تناولت في المبحث الأوّل صورة المعنى عند النقّاد، وكيف تطوّرت ونمت حتى نضجت، وتناولت في المبحث الثاني صورة المعنى عند دارسي الإعجاز، وأشرت إلى التأصيل عند النقّاد، والتطبيق عند دارسي الإعجاز، وكيف تعانق المساران ليكوِّنا منهجًا متكاملا، ظهر بشكل واضح عند عبد القاهر وهو ما جعلني أفرد له فصلا كاملا؛ فجاء هذا الفصل، وهو **الفصل الثاني** من الدراسة، في مبحثين، تناولت في المبحث الأوّل صورة المعنى عند عبد القاهر وجهة التميّز، كما تناولت علاقة صورة المعنى بالأعمال الصناعية من جهتين: جهة الاتفاق ووقفت فيها على مصطلحات التصوير والنسج والسبك، وجهة الاختلاف ووقفت فيها على مصطلحات الحكاية والسلخ والاحتذاء.

وتناولت في المبحث الثاني منهج عبد القاهر في الموازنة، وقد درسته في أربعة مطالب: مستوى الألفاظ، ومستوى التركيب، ومستوى التصوير، ومستوى تأليف النغم.

وقد تبيّن لي من خلال هذا المبحث اكتمال فكرة صورة المعنى، وتكوينها لمنهج شامل في الموازنة، لا يستثنى منها حتى الإيقاع الصوتي الذي ظن كثير من الدارسين أنّ عبد القاهر لم يلتفت إليه إطلاقا.

أمّا **الفصل الثالث**، وهو ثمرة هذه الدراسة، فجاء في مبحثين، المبحث الأول وازنت فيه بين شعر وشعر من جهتين: الجهة الأولى: ما جاء فيه أحدهما مصورا والآخر ساذجا غفلا، والجهة الثانية: ما جاء فيه كلا الشعرين مصورا، وقد أدّى ذلك إلى الترقّي في الصناعة والتصوير حتى يصل الأمر إلى الموازنة بين نظم الشعر ونظم القرآن في تصوير المعاني وأدائها، وهو ما تناولته بالموازنة في المبحث الثاني، وذلك وفقًا للمنهج الذي ظهر عند عبد القاهر في مستويات التصوير، مع إضافة مستوى البناء الذي أشار إليه عبد القاهر دون أن يتناوله بالموازنة التحليلية، ومستوى الصورة الخطيّة التي ظهرت فيما بعد وخصوصا في إشارة حازم القرطاجني إلى أطوار صورة المعنى، وفي الدراسات القرآنية التي تناولت الفروق في الرسم العثماني للمصحف الشريف ومحاولة بعض الدارسين ربط ذلك بالدلالة على المعنى.

ثم ختمت الموازنة التطبيقية بأهم ملامح البيان القرآني وسماته التي ظهرت من خلال الموازنة، وأكّدتها الدراسة في ثنايا البحث.

وأخيرًا جاءت الخاتمة وفيها أهم نتائج الدراسة التي توصّلت إليها، أو تلك التي أشار إليها الدارسون وأكّدتها هذه الدراسة.

في الختام أتوجّه بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل الدكتور محمد إبراهيم شادي الذي أشرف على هذه الدراسة فكان لي نعم الأستاذ والأخ والصديق، حيث لم يدّخر وسعًا ولا نصحًا للسير بهذا العمل نحو ما رسمت له، فقد وجّه وأرشد وصوّب ما وجده محتاجًا إلى تصويب، ولئن عجزت عن شكره الشكر الذي يبلّغني مكافأته فلن أعجز عن الدعاء له سرًا وعلانية، وظاهرًا وباطنًا، أن يبارك في علمه وأن يجزيه عنّي خير الجزاء وأجزله.

كما أشكر كلّ أساتذتي في كلية اللغة العربية الذين تلقّيت عنهم العلـم، وأخـصّ منهم أولئك الذين صحبتهم ثلاث سنوات متتاليـات في الدراسـة المنهجيّـة فكـان لهـم الأثر الحسن علمًا وخلقًا، والله يتولّى مكافأتهم عنّي بما يستحقّون من الأجر.

وأتوجّه، كذلك، بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على إعطائهم هذه الدراسة شـيئًا مـن جهـدهم ونظـرهم للخـروج بهـا عـلى أكمـل وجـه، وذلـك مـن خـلال تـسجيلهم الملحوظات القيّمة لسدّ ما فيها من خلل وتعزيز ما فيها من صواب.

كما أسأل الله سبحانه أن يعفـو عنّـي مـا قـصّرت فيـه، ممـا لم يبلغـه جهـدي أو مـا تحرّيت فيه الصواب فأدركني فيه الخطأ والزلل، وأن يتقبّل هـذا العمـل بقبـول حـسن، إنّـه سـبحانه ذو الفـضل والإنعـام، وآخـر الـدعاء والثنـاء: أن الحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات